ذكرى عاشوراء (١٠ محرم)

الثورة الحسينية

الدوافع - المنطلقات - الدروس والعبر

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ﴾[1]

﴿قل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُربى﴾[2]

يقول الرسول صلى الله عليه وعلى وآله وسلم:

«حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا».

•••

«من رأى سلطانًا جائرا مستحلاً لحرم الله ناكثًا لعهد الله مخالفًا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقًا على الله أن يدخله مدخله.»

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) الشورى: ٢٣.

إطلالة على عاشوراء

في هذا اليوم، يوم العاشر من محرم وقعت فاجعة عظيمة ومأساة كبرى في تاريخ هذه الأمة، الأمة التي دينها الإسلام، وسماها الله ونبيها: المسلمين. تلك الفاجعة كان المفترض أن لا يقع مثلها إلا في تلك العصور المظلمة، في عصر الجاهلية، في عصر الشرك، في عصر الظلمات، كان الشيء المفترض والطبيعي لحادثةٍ مثل هذه أن لا تكون في عصر الإسلام، وفي ساحة الإسلام، وعلى يدي من يسمون، أو يحسبون على الإسلام، فما الذي حصل؟.

لم نسمع في تاريخ الجاهلية بحادثة كهذه!. ما الذي جعل الساحة الإسلامية مسرحاً لمثل هذه المآسي؟ لمثل هذه الأحداث المفجعة؟ ما الذي جعل من يسمون أنفسهم مسلمين، ويحسبون على الإسلام هم من ينفِّذون مثل هذه الكارثة!؟ مثل تلك العملية المرعبة المفجعة!.

وضد من؟ ضد من؟! هل ضد شخص ظل طيلة عمره كافرا يعبد الأصنام، ويصد عن الدين؟ هل ضد رجل عاش حياته نفاقاً ومكرا وخداعاً وظلماً وجبروتاً؟ كان هذا هو المفترض لأمة كهذه، أن يكون لها موقف كهذا أمام أشخاص على هذا النحو: كفر وشرك وطغيان وجبروت وظلم ونفاق.

لكنَّا نرى أن تلك الحادثة التي وقعت في الساحة الإسلامية، وعلى يد أبناء الإسلام، بل وتحت غطاء الإسلام وعناوين إسلامية، وخلافة تسمي نفسها خلافة إسلامية، نرى أن ذلك الذي كان الضحية هو من؟ واحد من سادة شباب أهل الجنة «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». هو ابن سيد النبيين، هو ابن القران، هو ابن سيد الوصيين، وسيد العرب، علي بن أبي طالب، هو ابن سيدة النساء فاطمة الزهراء، هو ابن سيد الشهداء حمزة.

ما الذي جعل الأمور تصل إلى أن يصبح الضحية في الساحة الإسلامية وتحت عنوان خلافة إسلامية وعلى يد أبناء هذه الأمة الإسلامية، أن يكون الضحية هو هذا الرجل العظيم؟.

إنه حدث...مليء بالدروس، مليء بالعبر.. وما أحوجنا نحن في هذا الزمن إلى أن نعود إلى تاريخنا من جديد، إلى أن نعود إلى الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) فنتطلع في سيرته وحركته الرسالية، منذ أن بعثه الله رسولاً إلى أن صعدت روحه الشريفة للقاء ربه، إلى أن نعود إلى علي عليه السلام لنقرا سيرته وحركته في الحياة، إلى أن نعود إلى الحسن وإلى فاطمة الزهراء وإلى الحسين، إلى الحسين الذي نجتمع هذا اليوم لنعزي أنفسنا بفقد مثله، وإلى أن نستلهم في هذا اليوم بالذات ما يمكننا أن نفهمه من دروس وعبر من تلك الحادثة التي كان هو وأهل بيته ضحيتها.[٣]

(٣) من وحي عاشوراء.

دوافع الثورة الحسينية

الظلم

الإمام الحسين عليه السلام أوضح قضيته لأمة جده حينما تحرك فيهم، وقال في إحدى إحدى خطبه المهمة بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلوات الله عليه وعلى آله) قال عليه السلام: «**أيها الناس إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: من رأى سلطاناً جائرا مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغَيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مُدخله**» حينما يكون من يتحرك بالباطل هو صاحب السلطة، من يتحرك بالإجرام من يهيمن على الناس من يظهر الفساد من ينشر المنكر هم من لهم سلطة، أصحاب السلطة، الحكومات الجائرة، السلطان الجائر حينها يتهيب الكثير من أن يتخذوا الموقف، لكن البلية تعظم لأنه حينما يكون مصدر الظلم مصدر الفساد مصدر المنكر السلطة التي هي تعبر عن نفسها أنها سلطة الإسلام، حكومة المسلمين، سلطان المسلمين حينما يكون هو مصدر الظلم والباطل والمنكر والفحشاء والطغيان فالمسألة خطيرة؛ لأنه يسوق الأمة بكلها ويدفعها دفعاً ويحدث في واقع الأمة – السلطة، الحكومة الجائرة، السلطان الجائر، بإمكانيات الأمة بالجيش بالثروة بالقوة بالإعلام بالتربية والتعليم – يحدث في واقع الأمة من الخلل ومن الضياع ومن الفساد ما لا يشابهه شيء.[٤]

الفساد السياسي

هو عندما يتحدث عليه السلام في ذلك الخطاب ويقيم الواقع الذي تعيشه الأمة في عصره فيتحدث عن الحكومة الجائرة في ذلك الزمن سلطة يزيد وقد أظهروا الفساد واستأثروا بالفيء، من واجب الأمة المسلمة التي تعتبر نفسها أمة محمد، أمة القران، أمة الخير، أمة القيم، أن تكون ساحتها ساحة صلاحٍ وخير وعدلٍ واستقامة، لا أن تكون ساحة قابلة بالظلم، قابلة بالفساد، أرضية خصبة للطغيان، فهو عندما يقول: (أظهروا الفساد) يعني: أن الواقع السيئ والمتردي للأمة وصل إلى درجة أن يتمكن أولئك الظالمون المجرمون من إظهار الفساد فيصبح الفساد حالةً مقبولة، حالةً مسكوت عنها، حالةً لا تواجه لا باحتجاج ولا بموقف، بل يكون الحال الغالب هو التغاضي عنها والتجاهل لها، في ظل واقع كهذا يصبح الحال مشجعًا

(٤) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

للطغاة والمجرمين والأشرار على ممارسة المزيد والمزيد والمزيد من فسادهم وظلمهم وطغيانهم وإجرامهم بحق الأمة.[٥]

الفساد الاقتصادي

(واستأثروا بالفيء) الاستئثار بالمال العام الذي هو حق للأمة كلها وملك للأمة جميعها من أكبر الظلم للأمة، وله نتائج سلبية جدًا، هكذا جرت طريقة الظالمين وسنّة الطغاة والمفسدين أن يستأثروا بالمال العام، يسيطروا عليه ثم يستغلونه للهيمنة على الأمة فيكون ما يقدمونه للناس من قليل ما استحوذوا عليه، القليل مما استحوذوا عليه، اليسير مما حازوه وتغلبوا عليه واستأثروا به مقابل عزة الأمة، مقابل كرامة الأمة، مقابل أخلاق الأمة وكرامتها ودينها، يشترون الناس شراءً يدفعون المال مقابل الموقف، مقابل تركيع الأمة لهم، وكأن المال العام ملكًا لهم فيوظفونه ويسخرونه ويستغلونه مع منافعهم الخاصة للتحكم على الأمة والسيطرة عليها، وتربية الأمة على بيع الضمير، وبيع المواقف، وبيع الولاءات، وهكذا يمتهنون الأمة امتهانًا ، بينما في أصل الحق وفي الواقع ذلك المال هو حقٌ للأمة يجب أن تعطى الأمة ذلك الحق من دون مقابل، من دون أن تستذل، من دون أن تشترى ولاءاتها، من دون أن تمتهن، من دون أن يكون مقابل التغاضي عما يمارسه الظالمون بحقها من الظلم والاضطهاد، (أظهروا الفساد واستأثروا بالفيء) وهذا من أهم وأسوأ ما يعمله الطغاة والظالمون في الأمة ويهدمون به واقعها، يتحدث في ذلك الخطاب فيقول:(وأنا أحق من غيّر) الحسين عليه السلام بمقامه العظيم وريثًا لجده حاملاً لراية الحق والعدل هو الأولى بأن يكون هو الذي يتقدم في واقع الأمة يعلن الموقف ويحدد المسؤولية ويحدد معالم الطريق (أحق من غيّر) وهو الأحق بأن نقتدي به، ونتأسى به، ونسير بسيرته، ونقتبس من روحيته.[٦]

(٥) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.

(٦) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.

منطلقات الثورة الحسينية

إقامة الحق

الحسين عليه السلام برؤيته النافذة خرج من أجل الحق ليقوم الحق ليقيم الحق ليدفع الناس من جديد إلى نصرة الحق والتمسك بالحق وإقامة الحق، وكان يدرك بنظرته القرانية والربانية أن لا قيمة للحياة ولا قيمة للواقع بدون الحق، وهو عليه السلام الذي قال: «**إنه قد نزل من الأمر ما قد ترون وأن الدنيا قد تنكَّرت وتغيَّرت وأدبر معروفها واسْتَمَرت جداً**» صارت مرة صارت الحياة تحت هيمنة الباطل تحت وطأة الظالمين تحت معاناة جبروتهم مرة، مرة جداً، لا حلاوة لها وليس فيها ما يجعل الإنسان يتشبث بها فيتنصل عن مسؤوليته من أجلها، «**واسْتَمَرت جداً فلم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه**» ألا ترون، حينما كان يرى واقعاً كهذا لا وجود فيه للحق، ولا عمل فيه بالحق، ولا إتباع فيه للحق، ولا نصرة فيه للحق.

واقعاً كهذا يتحرك فيه الباطل بكل حريته، ليس هناك من ينهى عنه ولا يقف بوجهه، ولا يعمل على مواجهته مشكلة كبيرة لأمة تنتمي إلى الإسلام والقران، تنتمي إلى الرسول محمد (صلوات الله عليه وعلى آله)، في واقع كهذا يعتبر واقعاً خطيرا على الإنسان حينما يكون الواقع واقعاً مهيئاً للباطل، ساحة سهلة لا امتناع فيها للباطل ولا وقوف بوجهه يمكن لكل إنسان أن يسقط في حضيض الباطل تحت هيمنته، وأن ينقاد للباطل، حينها المؤمن الإنسان المؤمن بإيمانه بوعيه بثباته بخوفه من الله، بحيائه من الله، بإجلاله لله، بإذعانه لله، بعبوديته لله يكون حريصاً كل الحرص أن يلقى الله محقاً، ألا يموت على الباطل ولا يموت وهو مذعن للباطل أو خاضع للباطل أو متقبل للباطل الذي يبعده عن دينه وعن ربه.

لذلك يقول الحسين عليه السلام: «**ألا ترون أن الحق لا يُعمل به وأن الباطل لا يُتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً**» الموت أسعد للإنسان، أهنأ، أشرف، أنجا من أن يبقى في حياة مذلة يخضع للظالمين، يذعن للمبطلين، يستسلم للباطل، لا قيمة لحياة لا تكون فيها أنت محقاً ثابتاً على الحق متمسكاً بالحق ناصرا للحق ليبقى لك دينك هكذا كانت معالم تحركه.[٧]

(٧) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

المسؤولية في التغيير

«ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء – نهبوا الأموال العامة الحقوق العامة للمسلمين وأكلوها لهم هم – وأحلوا حرام الله وحرموا حلال الله وأنا أحق من غَيّر» وأنا أحق من غَيّر.

يعرف الإمام الحسين عليه السلام أنه في موقع المسؤولية، في موقع المسؤولية، ويجب أن يكون في مقدمة من يسعى لتغيير هذا الواقع، هذا ما يتناسب مع مقامه الإيماني الرفيع؛ لأن المقام الإيماني كلما كان راقياً، كلما كان عالياً كلما كان أكثر تناسباً مع المسؤولية، وكلما كان الموقف أكثر انسجاماً مع المسؤولية؛ لأن الإنسان يكون أكثر تعبيداً لله، يعبد نفسه أكثر لله، البعض من الناس يرون لأنفسهم مقامات وهمية، يعتبرون أنفسهم على مستوى عالٍ من الإيمان والعلم، وأنهم في مقام عظيم، ثم يكونون هم أكثر الناس تنصلاً عن المسؤولية!، لا يريد أن يصدع بالحق! لا يريد أن يجاهر بموقف ضد الظلم والباطل!، لكنه يريد أن ينظر الناس إليه من واقع علمي إيماني بأنه عظيم، بأنه عظيم! لكن هل يتحمل مسؤوليته تجاه الأمة؟ هل يصدع بالحق؟ هل أنه له موقف واضح مباين للظالمين؟ هل يسعى إلى إنقاذ عباد الله من ظلمهم وضلالهم وفسادهم وباطلهم؟ لا، لا.

الإمام الحسين لم يكن يرضى بأن يكون له هكذا مقام وهمي، مقام وهمي، ألقاب معينة وتشريفات معينة وأسماء معينة وفقط يحظى بمجرد احترام، لا، يقول: «**وأنا أحق من غَيّر**» من مقامه العظيم، مقامه الإيماني العالي، من مقامه العظيم كوريث للقران، كقرين للقران، سبطٍ لمحمد، وريثٍ لمحمد، يقول هكذا: «**أنا أحق من غَيّر**» أولى أن أكون في مقدمة من يغير، أن أكون أول من يسعى إلى تغيير هذا الواقع الفاسد السيئ، الذي لا يجوز أن يكون مقبولاً في واقع هذه الأمة، الفساد، المنكر، الاستئثار بالفيء، الإحلال لما حرم الله، والتحريم لما أحل الله، العدوان، الإثم، الإجرام بكل أشكاله، حالة لا يجوز أن تكون مقبولة، لا يجوز السكوت عليها، لا يجوز التفرج عليها.

يجب أن يكون الموقف هو التغيير «**وأنا أحق من غَيّر فأنا الحسين بن علي وبن فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيَّ أسوة**» وهو هنا في موقع المسؤولية بكل ما يحتاجه هذا الموقف، بكل ما يحتاجه هذا الموقف، من واقع المسؤولية يتحرك وفي نفس الوقت حاضر لكل ما يلزم من تضحية، لكل ما يلزم من

عطـاء، لـكل ما يلـزم من بذل، لكل ما يلزم مـن جهد، حاضر على أرقى مسـتوى، هكذا يقول: «**نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة**»[٨]

اصلاح واقع الأمة

الموقف الذي تحرك فيه الإمام الحسـين عليه السـلام والقضية التـي تحرك فيها هي العمل علـى إصـلاح واقع هذه الأمة، إصلاح أمـة جده، أمر بالمعروف، نهي عـن المنكر، إعادة لهذه الأمة إلى الطريق الصحيح؛ لترتبط من جديد بالقران وبمحمد، بالإسلام، ويُفك ارتباطها الذي قد رميت إليه بالمجرمين والطغاة وظلمهم وإجرامهم وإفسادهم، إعادة هذه الأمة إلى مسارها الصحيح مسـار القران، مسـار محمد؛ لتعود تلك الأمة التي أُريد لهـا أن تكون كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بِالْمَعْروفِ﴾ لا أن تكونون أمة مع المنكر، مع الباطل، مع الظلم، مع الفساد، وساحة للظلم والظالمين والمجرمين، يتحكمون بكم، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرونَ بِالْمَعْروفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾.

الموقف الذي تحرك فيه الإمام الحسـين عليه السـلام، موقف التغيير للواقع الذي لا يجوز أن يكون مقبولاً، مواجهة الظلم، الفساد، المنكر، الطغيان، الإجرام، الانحراف بالأمة. [٩]

(٨) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٢٩هـ.

(٩) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٢هـ

دروس من الثورة الحسينية

المسؤولية في نصر الحق في هذا الزمان كبيرة وعظيمة

نحن – أعتقد – إذا لم ننطلق في مواجهة الباطل، في هذا الزمن فإننا من سنرى أنفسنا نساق جنوداً لأمريكا في ميادين الباطل في مواجهة الحق. لا يجوز بحال إذا كنا نحن من نلوم أولئك، أي واحد منا يلوم أهل الكوفة أليس كذلك؟ يلوم أهل العراق، يلوم ذلك المجتمع الذي لم يصغ لتوجيهات الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) بعد أن ولى علياً، يلوم أهل المدينة، يلوم أهل البصرة، يلوم أهل الشام، يلوم.

إذا كنا فقط إنما نلوم الآخرين، ولا نعرف على ماذا نلومهم، أنت تلومهم لأنهم قتلوا الحسين، أليس كذلك؟ فعلاً يلامون على أنهم قتلوا الحسين، لكن ما الذي جرهم إلى أن يقتلوا الحسين؟.

أنت تعيش النفسية، تعيش الحالة التي جرتهم إلى أن يخرجوا ليواجهوا الحسين، فَلُمْ أنت نفسك، ولمُهم أنت على تفريطهم يوم كانوا يسمعون علياً، واحذر أنت أن تكون ممن يفرط وهو يتكرر عليك هدي علي، وهدي القران الكريم الذي هو فوق كل هدي.

أوليس القران الكريم حياً بين أظهرنا؟ أولسنا نقراه؟ أولسنا نحاول أن نعرض الأحداث على القران الكريم لنستلهم من خلال القران ما هو الموقف المطلوب منا؟ بل لنحصل من خلال القران على وعي وبصيرة نفهم من خلالها ما يدور حولنا؟ فمن يُعرض، من يُفرط، من لا يهتم، من لا يبالي إنه يعيش نفسية من يلومهم قبل ألف سنة وأكثر من ألف سنة.

بل أرى أن اللوم علينا أشد.. لماذا؟ عادة الناس إذا تحدث معهم رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحذرهم من عواقب الأمور، الكثير من الناس هو يكون من أولئك الذين يريدون أن ينظروا إلى الأشياء متجسدة أمامهم حتى يصدقوا، وحتى يستشعروا الخطورة، وحتى يهتموا، أو يكون لهم موقف، يريدون كما قال بنو إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[الأعراف: من الآية١٣٨] بعد أن خرجوا من البحر، بعد تلك الآية العظيمة، الآية الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى.

وهم مؤمنون بالله، لكنهم ما زالوا يريدون أن يروا إلهاً متجسداً أمامهم، حتى قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة: من الآية٥٥] ألم يقولوا هكذا؟ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرى اللَّهَ جَهْرَةً﴾هذه الروحية: (لن نصدقك حتى نرى الأحداث ماثلة) هذا هو الغباء، هذا

هـو الخطأ، هذه هي الأمية الحقيقية، هذه هي الجهالة، هذه الروحية هي التي تؤدي إلى ضرب الأمة في كل عصر.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) عندما كان يتحدث.. القران الكريم «**فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم**» يتحدث هو أيضاً عن عواقب الأمور، عن عواقب التفريط، عن عواقب اللامبالاة، عن أضرار الضلال والباطل عليكم في الدنيا قبل الآخرة.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) أيضاً تحدث لكن لم تكن هناك أحداث واسعة بسعة ما يسمعونه من حديثه، وهم من نوعية من يقول في واقعه – من حيث لا يشعر – (لن نؤمن لك حتى نرى عواقب الأمور جهرة!).[١٠]

خطورة عدم الاستفادة من الأحداث

الإمـام علـي عليه السـلام تحدث مـع الناس، وكانت أيضـاً قد عرضت فـي الحياة أحداث كثيـرة، فـكان من المفترض أن يكون من يعيشـون فـي عصر علي – لأن منطـق علي هو منطق القـران، ومنطـق محمد (صلـوات الله عليه وعلـى آله) – أن يكونـوا أكثر وعيـاً؛ لأنهم من قد شاهدوا الأحداث الكثيرة والمتغيرات من بعد موت الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) إلى أن قام علي، وراوه فوق منبرهم في الكوفة يتحدث معهم ويوجههم.[١١]

التخلـي عـن المسؤوليـة فـي هـذه المرحلـة تهيئـة لهيمنـة اليهود وإفسادهم

وإذا كان أولئك لتفريطهم هيئوا السـاحة لأن يتولى يزيد فأنت هنا لتفريطك سـتهيئ الساحة لأن يحكمهـا (بوش)، ولتحكمها إسـرائيل، فيحكمهـا اليهود، أوليس اليهود أسـوء من يزيد؟ إن مـن يهيئ السـاحة لتحكمها أمريكا، من يهيئ السـاحة لتحكمها إسـرائيل، من يهيأ السـاحة لتحكمها ثقافة الملعونين من اليهود والنصارى بدل ثقافة القران هم أسوء ممن شهروا سيوفهم في وجه الحسين[١٢]

أكبر خطر على الامة أن يحكمها الظالمون والمجرمون

وهكذا... نسـتذكر الحسـين الرمز والقائد والمعلم لنتحرك من مدرسته القرانية المحمدية في مواجهة كل التحديات، ولنتحمل مسؤوليتنا في مواجهة الظلم والعمل على إصلاح الواقع، ونحن ننطلق من نفس الرؤية التي انطلق من خلالها الإمام الحسـين عليه السـلام والتي منبعها

(١٠) من وحي عاشوراء.
(١١) من وحي عاشوراء.
(١٢) من وحي عاشوراء.

القـران الكريـم ونهج النبـي الأعظم، هـذه الرؤية تعلمنـا أن أكبر خطر على الأمـة أن يحكمها ويسـيطر علـى أمرهـا ظالمـون مجرمون فاسـدون مفسـدون طغـاة متكبـرون وأن تتحكم بها حكومات جائرة، هذا هو الخطر الأكبر على الأمة. خطر على قيمها وخطر على مبادئها وخطر على أخلاقها وخطر على مسـؤوليتها ودورها المنشـود بين الأمم، خطر على أمنها وخطر على سـلمها وخطـر علـى وحدتها وخطر على مسـتقبلها الخطـر الأكبر الذي لا يسـاويه خطر على واقع الأمة وعلى دورها ومسؤوليتها الكبرى. من المدرسة الحسينية نعرف بوعي بشاعة الظلم والطغيان وسـوئه في الحياة، وأثره السـلبي في واقع الحياة كما راه الحسـين عليه السـلام وهو يقدم أصدق تعبير وأدق تقييم للواقع.[١٣]

الطغيان والاستبداد سياسة واحدة ونهج واحد

الطغيان... والأخوات المؤمنات: الطغيان والاستبداد سمته واحدة، ونهجه واحد، والطغاة المسـتبدون خريجو مدرسـةٍ واحدة، والصراع بين الخير والشـر وبين العدل والظلم بين القيم والإجـرام معركـة واحدة وصـراع ممتد عبر الزمن، فإما أن تكون مع الحسـين يعني مع العدل، يعني مع الحق، يعني مع الخير، يعني مع القيم، يعني مع الأنبياء، يعني مع القران، وإما أن يكون موقفك المناصر للباطل أو الخاضع المسـتكين للباطل لصالح يزيد، يعني الظلم، يعني الشـر، يعني الطغيان، يعني الفساد، يعني الجريمة، الطغاة والمفسدون والأشرار هم خطرون حتى في حدودهم الفردية[١٤]

الثقافة الحسينية كفيلة بتغيير واقع الأمة

ولذلـك... يجب أن تتعزز وتترسـخ الثقافة الحسـينية فـي الثورة على الظالميـن والطغاة، وعـدم القبـول بهم في موقع السـلطة أبدًا مهمـا كان الثمن؛ لأنهم لا نفع فيهـم ولا فائدة ترجى منهـم، وليـس للشـعوب أي مصلحةٍ منهـم؛ لأنهم ليـس لديهم أساسًـا أي تفكيـر و لا اهتمام فـي كيف يبنـوا واقع الأمة ويحققـوا لها العدل والرخاء والأمن والاسـتقرار، وكيف يسـخّروا الإمكانيـات والثروة العامة التي هي ملك الأمة في خدمتها ومصالحها، هم بعيدون عن ذلك، كل تفكيرهـم كل انشـغالهم كل اهتمامهم هو كيف يقووا نفوذهـم، وينموا ثرواتهم، ويحكموا سـيطرتهم وسـلطتهم ليتمكنوا أكثر من ممارسة الظلم، وليكونوا أشد اقتدارا لممارسة الطغيان والاستبداد، وتفكيرهم منصبّ في كيف يشعلون الحروب والفتن والمآسي، كيف يقتلون ذاك،

(١٣) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.
(١٤) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.

وكيف يسجنون ذاك ، كيف ينهبون تلك الثروة، كيف يستحوذون على تلك المصادر لأرزاق الناس ومصالحهم، هذا هو واقع الطغاة والظالمين، لا يمكن أن تراهن الأمة عليهم ولا أن تعتمد عليهم لا لصلاح دين ولا لصلاح دنيا.[١٥]

التغيير والعمل على إصلاح واقع الأمة مسؤولية وضرورة

ولذلك... التغيير والعمل على إصلاح الواقع هو مسؤولية وهو ضرورة، هو ضرورة لصلاح حياة الناس، لاستقرار حياتهم، لأمنهم، لسلامهم، لعزتهم، للرخاء، للارتقاء في واقع الحياة وفي مستوى المسؤولية، هو ضرورة وهو مسؤولية علينا كمسلمين، نحن أولى الأمم بإقامة العدل في واقعنا، لا يجوز ولا يليق ولا ينبغي أن نكون كمسلمين في واقعنا أكثر الأمم معاناة من الظلم والاضطهاد، وأسوأ ساحة تقبل بالظالمين ويهيمن عليها الظالمون والمجرمون.[١٦]

تعظم مسؤولية الأمة عندما يكون مصدر الظلم هو حكامها

عندما يكون مصدر الفساد هو السلطان، السلطان الجائر، الحكومة الجائرة تكون المسألة خطيرة جداً وتعظم المسؤولية على الأمة لدرجة، لدرجة أن من لا يقوم بمسؤوليته لا يكون له موقف ليُغيِّر لا بفعل ولا بقول فإنه يكون مدخله ومصيره مع ذلك السلطان الجائر، أين مدخل السلطان الجائر؟ أين مصير الظالمين؟ هي جهنم، جهنم وبئس المصير، جهنم والعياذ بالله محل انتقام الله وبأسه وعذابه.[١٧]

موقف العزة والثبات على الحق في كل الظروف هو الموقف الصحيح

في مواجهة طغيان الطغاة جبروتهم استكبارهم وحشيتهم نحتاج إلى هذا الدرس من الإمام الحسين عليه السلام درس الثبات في أي ظرفٍ مهما كان حرجًا، مهما كان هناك من تخاذل في الواقع وإن كان جمهور الساكتين والمتخاذلين والمتنصلين عن المسؤولية والذين يكتفون بالتفرج على الواقع دون استشعار للمسؤولية وكأنهم لا مسؤولية عليهم ولا دور لهم في الحياة، لا يؤثّر ذلك على هذا الموقف الحسيني، الموقف الإيماني، الموقف القراني، الموقف المحمدي، موقف العزة والإباء والثبات على الحق وبالحق «**لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء**

(١٥) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.
(١٦) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.
(١٧) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ

الذليل»؛ لأنه في خط الحرية في درب الإيمان لا مكان للذل ولا مكان للاستسلام ولا مكان للاستكانة ولا مكان للخنوع.[١٨]

المؤمن الحر العزيز لا يقبل بالذلة أبداً

عندما يكون هناك مساومة بين العزة وبين الذلة، بين الامتهان وبين الكرامة، فإن الخيار الوحيد والوحيد والوحيد للإنسان المؤمن الحر العزيز الأبي هو أن لا يقبل بالذلة أبدًا أبدًا؛ لأن الله لا يقبل لعباده بذلك. الله خلق عباده أحرارا، أرد للإنسان في الحياة أن يكون حرا، وكرم بني أدم، فعندما يحاول الطغاة والظالمون أن يفرضوا على الأمة حالة الذل والاستسلام والامتهان والهوان والعجز فواجب الأمة مسؤوليتها أن لا تقبل بذلك، أن لا تقبل بذلك أبدًا مهما كانت وحشية الأعداء، مهما بلغ إجرامهم وطغيانهم وجبروتهم.

من مدرسة الحسين نتعلم الثبات الذي لا يساويه ثبات، والعطاء بدون حدود، والصبر والإباء، نتعلم الصدق مع الله، نتعلم تجسيد قيم الإيمان في مقابل سلاح الطواغيت الذين يعتمدون في فرض هيمنتهم على الوحشية والإجرام، يعتمدون على الترغيب ويعتمدون على الترهيب.[١٩]

تربية الإسلام تقوم على عدم القبول بالذلة والظلم

ولذلك من أعظم ما في الإسلام هو أنه يربيك على العزة فيجعلك إنساناً عزيزاً لا تقبل بأن يذلك الآخرون، ولا أن يستعبدوك، ولا تقبل بأن تعيش مظلوماً قابلاً للظلم، قابلاً للظلم، قد تكون مظلوماً لكنك تواجه الظلم وتواجه الطغيان، وتقف ضد الظلم، لكن أن تقبل بالظلم وتتولى الظالمين، وتقدس الظالمين، وتمجد الظالمين، وتخضع للظالمين، وتُوْلي شؤونك وأمورك إلى الظالمين، هذا ما لا يقبل به الإسلام.[٢٠]

لا يقبل بالمجرمين والطغاة الا الأمة المنحطة

لماذا كانت الأمة بذلك المستوى الدنيء والهابط جداً والمفلس أخلاقياً؟! جماهير كثيرة وأعداد غفيرة من الناس لا أخلاق لهم، لا رحمة فيهم، لا عزة فيهم، لا شرف لهم، يعشقون الإجرام، ميالون إلى الظلم، مستجيبون للطغاة، يصطفون في صف الباطل، يرتكبون أبشع

(١٨) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.
(١٩) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.
(٢٠) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٢٩هـ.

الجرائـم، ويتصفون بأسـوأ الصفـات، حتى أنهم صـاروا بعيدون حتى عن الإنسـانية، بعيدون عن الفطرة، وحشـية رهيبة، وإجرام فضيع، تُشترى ولاءاتهم، وتُشترى مواقفهم بالقليل القليل القليـل من المال، ويُدفعون لمواجهة قرانهم، لمواجهـة رموزهم، لمواجهة هداتهم، في صف مَـن؟ فـي صف طغاتهم وأكابر مجرميهم، والمتوحشـون فيهم، بُعد شاسـع، وفراق كبير كبير، وابتعاد رهيب رهيب عن دينهم، عن أخلاق دينهم، عن مبادئ دينهم، وإفلاس إفلاس في القيم إفلاس رهيب جداً.

مـا الـذي أوصلهـم إلى ذلك المسـتوى؟ فكان لـدى معظم الأمـة اسـتعداد أن يتقبلوا بدلاً من الحسـين، بدلاً من وريث الأنبياء، بدلاً من الحسـين بالإسـلام، الحسـين بالقران، الحسين بالمبادئ العظيمة، الحسـين بالحق، الحسـين بالعدل، الحسـين بالخير، كانوا يتقبلون ولديهم القابلية بيزيد بفسـقه، يزيد بخمره، يزيد بفجوره، يزيد بطغيانه، يزيد بظلمه، يزيد بإجرامه، يزيد بمساوئ أخلاقه هذا الانحطاط والتحول الكبير في واقع الأمة المؤسف والمؤلم.[٢١]

التفريط يصل بالإنسان إلى الوقوف في صف الباطل

ذلـك التفريط هو الـذي جعل أهل العراق قبل أهل الشـام يصلون إلـى كربلاء فيحاصرون الحسـين عليه السـلام وأهل بيته، وجعلهم قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي عليه السـلام سـنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم؛ لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟.

هـم فرطوا، وعندما يفرط الإنسـان فيما يسـمع سـتأتي البدائل المغلوطة، إمـا أن يتلقاها من أمثالـه ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسـه هو فيكـون هـو من يحلل، ومـن يحاول أن يضع لكل قضيـة حداً معيناً، يظن أنهـا لا تتجاوزه. ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة.. يمكن أن يُصفى الحسين وتبقى الأجواء طبيعية!.[٢٢]

نتائج التفريط مأساوية وكارثية

بعد أن قُتل الحسين.. عليه السلام هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق؟ أم بـدأ العـراق يغلي، أم بـدأت النكبات، والكوارث تتابع على أهل العـراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه. لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم.

(٢١) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

(٢٢) من وحي عاشوراء.

ما أسوء الإنسان أن يسمع كلمة الحق ثم يرى نفسه في يوم من الأيام يقف في وجه الحق يضربه بسيفه، إنه أسوء من ذلك الذي تربى على الضلال من يومه الأول.[٢٣]

في الظروف الصعبة يبرز العظماء

في الظروف الصعبة يتحرك الرجال العظماء، ويتقاعس ضعيفو الإيمان، ويتخاذل قليلو الوعي والبصيرة، في الظروف الصعبة عندما يهيمن الباطل يكون له السلطة، يكون له المال، يكون له الجيش، يكون بيده المناصب حينها القليل من الناس العظماء، العظماء في إيمانهم، العظماء في أخلاقهم، العظماء في معرفتهم ووعيهم وبصيرتهم هم من يتحركون ويكونون هم في طليعة الأمة دعاة، دعاة إلى الله، دعاة إلى الحق، دعاة للأمة ومستنهضين لها لتقوم بمسؤوليتها، وفي تلك المراحل وفي تلك الظروف يتراجع الكثير الكثير من الناس كما هو واضح.[٢٤]

التخلي عن المسؤولية غير مقبول عند الله

لا يقبل الله من عباده المؤمنين أن يتنصلوا عن مسؤولياتهم، لا يقبل الله أساساً لا يقبل الله من عباده المؤمنين أن يجعلوا المسؤولية على جناب، لا جهاد لا أمر بمعروف لا نهي عن منكر لا مواجهة للظلم، فمن إذاً يقيم الدين؟ وبأي طريقة يُقام الإسلام؟ وكيف يُواجه الباطل إذا لم يكن أولياء الله هم حملة الدين رجال الإيمان والتقوى من يكونون في طليعة الأمة يستنهضونها يدعونها يحركونها يدفعونها يبصرونها يرشدونها، يكونون هم الطليعة في مواجهة الإجرام، في مواجهة الطاغوت، المسألة تتعلق بجوهر الإسلام بحقيقة الدين.[٢٥]

لا يقام الدين ولا يتحقق العدل إلا بمواجهة الطاغوت

لا يمكن للدين أن يُقام ولا للحق أن يُحق ولا للعدل أن يتحقق إلا بالقيام بالمسؤولية، إلا بمواجهة الطاغوت، إلا بمواجهة الظالمين، إلا بالتحرك الإيماني بالقيم الإيمانية لمواجهتهم، هي مسؤولية كبرى للمجتمع المسلم، مسؤولية أساسية كبرى على المجتمع المسلم أن يكون مجتمعاً ثائرا في وجه الطاغوت، ثائرا في وجه الظالمين، عاملاً بنفسه على إقامة القسط، على تحقيق العدل، على إحقاق الحق، إذا لم يقم بها المجتمع المسلم تكون النتيجة سيئة جداً وسيئة للغاية ويفقد الإسلام قيمته وأثره في الحياة، إسلام ليس له فائدة ليس له أثر، لا يحق

(٢٣) من وحي عاشوراء.
(٢٤) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.
(٢٥) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

حقاً ولا يبطل باطلاً ولا يغير واقعاً ولا يصلح فاسداً ولا يحقق للناس الخير في واقع حياتهم، إسلام شكلي معه الظلم معه الجريمة معه الفساد، إسلام لا أخلاق له لا قيم له، إسلام لا عدالة فيه، إسلام أجوف، إسلام شيطاني، إسلام بعيد عن حقيقة القران وعن تعاليم الله، إسلام محرف حُرفت قيمه ومُسخت تعاليمه.[٢٦]

قيم الإباء والعزة من أهم المؤهلات في حمل المسؤولية

الإمام الحسين عليه السلام الرجل الذي طوال حياته ومنذ صباه كان يرتقي سلم الكمال ودرجات الإيمان ووصل إلى المستوى العظيم، تحرك بروحية عالية إباء وعزة ونفس أبية وأنف حمية لا تقبل بالظلم ولا تستسيغ الباطل، ولا ترضخ لأكابر المجرمين وطغاة الأرض المفسدين، روحية عالية وإباء وعزة، وهو الذي قال حينما أرادوا أن يساوموه على الذل والهوان والاستسلام والخضوع: «**لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد**» هو عليه السلام الذي قال: «**ألا وأن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة وبين الذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»، وبروحية عالية، وبروحية عالية بهذا الإباء الإيماني والعزة الإيمانية التي لا تقبل الخضوع للظالمين، ولا تستسيغ هيمنة الطغاة، بهذه الروحية العالية تحرك قائماً بمسؤوليته رغم الخذلان الكبير من الأمة والتقاعس عن المسؤولية، ورغم كثرة الأعداء والواقع المرير غربة حقيقية، غربة حقيقية، فئة قليلة جداً من المؤمنين بإيمانها العظيم بوفائها العظيم بمصداقيتها الكبيرة مع الله سبحانه وتعالى وقفت ثابتة صامدة معه (صلوات الله عليه).

من الأشياء المهمة ومن الدروس المفيدة من الحادثة والواقعة أهمية هذه القيمة، أهمية هذا الخلق الإباء والعزة في حمل المسؤولية وفي التحرك في الظروف الصعبة والقاسية التي يعم فيها التخاذل.[٢٧]

عدم الخوف من الطغاة والجبابرة مهما كانت إمكانياتهم

دروس مهمة... يجب أن نستوعبها في هذا العصر، وأن تكون هي تعطينا طاقة كبيرة لأن نواصل التحرك في سبيل الله، في مسيرة الحق، في مسيرة القران، ضد اليهود والنصارى، في مسيرة الاستجابة لله، الإتباع لما أنزل الله، الموالاة لله وأوليائه والمعادة لأعداء الله، في

(٢٦) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

(٢٧) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

مسيرة العزة، في مسيرة المجد، في مسيرة الكرامة، في مسيرة الجهاد. يجب أن نستفيد من كل هذه الدروس التي تحدثنا عنها، وهذه الوقفات التي وقفناها في هذه الليلة، أن تعطينا دفعة كبيرة، اندفاعاً كبيرا، وطاقة كبيرة في السير مع أولياء الله وفي طريق الله وفي طريق أعلام الله، أن نتعلم من ذلك أن لا نخشى الطغاة، ولا نخشى الجبابرة لو كانت إمكانياتهم كيفما كانت، أن لا نخشى الموت، أن يكون الموت في سبيل الله بالنسبة لنا سعادة ونعشق ذلك؛ لأنه شهادة ومصير إلى الله وإلى الخير عنده[٢٨]

الأمة بخذلانها للحق تدفع ثمناً كبيرا

الأمة... الأمة بخذلانها للحق وابتعادها عن أعلام الهدى تدفع ضريبة باهظة وثمناً كبيرا لقاء ذلك في الدنيا والآخرة، تدفع ثمن كبير، تخسر الدنيا وتخسر الآخرة، إذا ترك الناس شيئاً من أمور دينهم أو «**ما ترك الناس شيئاً من أمور دينهم استصلاحاً لدنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أشد منه**»، يفتح الله ما هو أشد.[٢٩]

تربية الإسلام والقران.. تربية قيم ومبادئ وأخلاق عظيمة

ذلك أن الأمة لو سارت على المستوى الصحيح وفق بناء الإسلام، وفق توجيهات القران وتربية القران، لكانت على مستوى عظيم من زكاء النفوس والأخلاق العالية والصفات الحميدة، لكانت أمة عزيزة طاهرة صالحة مستقيمة، تنفر من الظلم وتأبى الباطل، وتكره الإجرام، أمة تتوجه في حياتها على أساس توجيهات ربها وبأخلاق دينها العالية بالصدق بالصفاء بالإخلاص بالنقاء، وتوجهها في حياتها وفق مسؤوليتها الكبرى؛ لإقامة الحق لإرساء دعائم العدل لتطهير الأرض من الفساد والإجرام[٣٠].

استهداف الإمام الحسين عليه السلام كان استهدافاً للإسلام

الحسين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وفي أخيه الحسن: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» رجل الجنة وولي الله ووريث الأنبياء، ووريث القران، ورجل الإسلام، هذا الرجل العظيم، من مقامه العظيم، عندما استُهدِف في مسؤوليته، استُهدِف في تحركه، وتحرك الطغاة بكل إجرامهم بكل وحشيتهم بكل طغيانهم لاستهدافه والقضاء عليه إنما كانوا يستهدفون بذلك الإسلام، إنما كانوا يحاربون بذلك

(٢٨) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٢٩هـ.
(٢٩) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٢٩هـ.
(٣٠) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

القران، يحاربون الحق الذي يحمله الحسين، ويحاربون العدل ويرومون القضاء على العدل الذي يعمل الحسين على إقامته في الأرض، يحاربون المبادئ والأخلاق العظيمة والسامية التي حملها الحسين وجسدها الحسين في واقعه، وفي واقع الحياة، وأراد أن يبني واقع الأمة على أساسها إذاً فالاستهداف للحسين والحرب عليه ومحاولتهم إفشال مشروعه عبر قتله وتصفيته كان كما قلنا حرباً على الإسلام والقران وجناية على مجد الأمة.[٣١]

رسالة إلى المتخاذلين

في ذكرى عاشوراء ننادي المتخاذلين الفئة الصامتة، ننادي في هذا اليوم يوم الكلمة المسؤولة، يوم نبرة العزة والحرية، يوم الموقف، يوم الإباء، يوم الثبات، من مدرسة محمد، من المنبر الحسيني، ننادي كل المتخاذلين كل الصامتين كل المستسلمين نقول لهم: راجعوا موقفكم، راجعوا موقفكم، تعلموا من الحسين، تعلموا من سبط رسول الله كيف تكونون أعزاء، كيف تتحملون المسؤولية بإباءٍ وعزة وصبر وثبات، تعلموا كيف يكون لكم دور في الحياة، فلا يكون دوركم في الحياة أن تكونوا صامتين ساكتين يائسين حياديين. لا حياد بين الخير والشر، وبين العدل والظلم، وبين النور والظلام، كفى تخاذلاً، لا حيادية بين الحق والباطل. إن موقف المتخاذلين ليس حياديًا في حقيقة الأمر وإن وهموا، إذا كانوا يتوهمون أنهم محايدون فإن موقفهم في حقيقة الأمر ليس حياديًا، إنه محسوبٌ للمستفيد منه وهم الطغاة هم الطغاة.

إن التخاذل عاملٌ أساسي في تمكن الظالمين وسيطرتهم، ولولا سكوت الساكتين ولولا رضوخ وخنوع المستكينين الخانعين من جماهير الأمة لكان واقع الأمة مختلفًا عما هو عليه، إن التخاذل والاستكانة والخضوع موقفٌ سلبي قائمٌ على رؤية غير صحيحة، غلط.. غلط حقيقي موقف متخاذل سلبي ليس له مستند ليس له برهان، إذا كانوا يتوهمون أنهم بذلك سيسلمون من تبعات المسؤولية من ثمن الموقف فهم واهمون.[٣٢]

(٣١) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٣هـ.

(٣٢) خطاب ذكرى عاشوراء ١٤٣٤هـ.